فلسفة الفهم الخاطئ لسلوك الآخر رؤية في العلاقات الدولية المعاصرة

د. عبدالصمد سعدون عبدالله*

ملخص البحث

هناك الكثير من الاجوبة المستعصية لتساؤلات تدور حول طبيعة المشكلة العظمى لدى البعض من مجتمعات البسيطة على انها لا تفهم سلوك بعضها البعض وينطبق ذلك على العلاقات الاقتصادية الدولية: كيف تجهل اطرافها ما يدور في فكر وخوالج أذهان الاخرين من الدول والقوميات والطوائف الأخرى؟ فينطوي عنها الخلافات والتقاطعات الى مستوى النزاعات وقيام الحروب وما تخلف ورائها من دمار للبشري ، إذ يُفهم من سلوك بعضها حين يُنعت بالخاطئ أو الآثم على فعلته أو تبريراته للحدث.

إن تفاوت القوة والقدرة لدى دول العالم، فضلا عن البون الشاسع في تقنيات الحياة والتي كانت ولا زالت تشكل عقبة امام تقارب الأفكار والتي في ضوئها تحدد سوء الفهم وعدم ادراك سلوك الاخر الى مستوى القبول او القناعة، ذلك ان تعدد الأفكار سيصل بها حتما الى الجدل والفلسفة المتقاطعة في فهم الاخر مهما كانت الظروف التي تمهد تقاربها، فالمصالح الإيديولوجية للقوى الفاعلة في العلاقات الدولية هي من تفرض اسقاطاتها على الواقع وبما يتلاءم مع مسار تلك المصالح.

Abstract

There are many answers to intractable to questions about the nature of the problem majority in many communities Statistics do not understand the behavior of each other and this applies to international economic relations and how ignorant edges what is going on in the mind and the minds of other nations and nationalities and denominations? After life involves about differences and intersections to the level of conflict and the wars what you leave behind the destruction of mankind.

The varying strength and capacity of the countries of the world, as well as the vast difference in the techniques of life which was and continues to be an obstacle to the convergence of ideas, and

that in the light determines misunderstanding and failure to appreciate the behavior of the other to the level of acceptance or conviction, so that the multiplicity of ideas will reach out inevitably lead to controversy and Philosophy intersecting in understanding the other, whatever the circumstances that paves the convergence, the ideological interests of the forces of actors in international relations are imposing their projections on the ground and in line as fits their goals and interests .

توطئة:

إن من طبيعة فهم سلوك الآخر في العلاقات الإقليمية والدولية ، انها لا تتوقف على اقناعه في تقبل الشروط او صيغة الإتفاق او مطالب معينة او إقامة علاقات دبلوماسية أو برتوكولات تجارية ، إنما يتأتى الفهم من استشفاف سلوك الاخر كيف يكون رفضه أو وقبوله لمعطيات تلك الشروط او الاتفاقات أو المطالب والبروتوكولات ، إذ ان الرفض او القبول لا يتحدد بضرورة القناعة التي تأسست عليه طبيعة او نمط تلك العلاقات ، إنما بارتياح الآخر لتلك العلاقات واطمئنانه لها وأخذها مأخذ الجد كيفما كانت طبيعتها ....

ومع ذلك ليست هنالك خيارات ذاتية لبعض الدول كي تقبل او ترفض سلوك الآخر ، إذ أن طبيعة العلاقات بين دول العالم انها تأخذ منحى متفاوت من حيث القوة والقدرة ، بمعنى آخر أن هناك النمط المصلحي وهو ما يعني ان القوي قد يفرض سلوكه بغض النظر عن قبوله او رفضه من الاخر.. اما عن الجانب الإيديولوجي في فهم السلوك ، فالعالم على مدى تاريخ الفكر السياسي والاقتصادي قد توافر على تعدد الأفكار ولكل فكر فلسفة لفهم الاخر، والتقاطع بين الافكار أمرا حتميا ضمن فلسفة المجتمعات في طورها المثالي، التجريبي، الواقعي أو الجدلي الديالكتيكي ..

ولذلك ليس من الصواب الجزم بفهم أمة من الأمم على انها ذات سلوك كذا وكذا ، كونها تتقلب بمبادئها بحسب ما تملي عليها الظروف وتتلاءم مع مصالحها او مسار إيديولوجيتها وهكذا ... فالمجتمع الأوربي في عصر الإقطاع لم يكن سلوكه كما في عصر النهضة والماكنة الصناعية فالإنتاج الواسع والتبادل التجاري وحيث الفكر الحر وتاريخ العلاقات الاقتصادية المعاصرة غنية بالأحداث ذات الطبيعة المصلحية أو الاختلافات في الفلسفة الفكرية وبخاصة

ذات النمط السلطوي سواء للفرد في السلطة أو الحزب أو حتى النمط الإمبريالي عندما تحصل أو تتمكن الدولة من القوة في فرض إرادتها وقبول الاخر بها .

وعليه تركز **اهمية هذه الدراسة** على طبيعة العلاقات المصلحية السائدة في عالمنا اليوم وفق سياقات القوة والقدرة التي تتمتع بها بعض البلدان ونمط التحالفات الدولية غير المتوازنة وتحكمها سلوكيات وإرادات الطرف الأقوى ، والتي لا تزال تشكل عبئا كبيرا تتحمله معظم مجتمعات الأرض لما تنقصه تلك العلاقات من قيم ومبادئ السلوك المنتظم والهادف في التعامل مع الاخر .

وتأسيسا على ما تقدم يمكن وضع الفرضية لهذه الرؤية من العلاقات على ان " هناك فهم خاطئ ينتاب سلوكيات بعض القوى الدولية الفاعلة مما ينعكس سلبا على مسار العلاقات الاقليمية والدولية كي تبنى عليها مبررات الأهداف المصلحية وفرض الإرادات للطرف الأقوى ضمن مدركاته لمسار الحدث في بناء مصالحه العليا.

وتأتي منهجية الدراسة على انها رؤية استنباطية لما يدور في العلاقات السلوكية للدول الحديثة والمعاصرة من الاتجاه العام نحو الخاص باستخدام اساليب منهجية عدة ، كان للأسلوب التاريخي خيارا في مواقع الأحداث التاريخية في الزمان والمكان واستشهادا لما ينطوي عليه الفهم الخاطئ لسلوك القوى الفاعلة تجاه الآخر ، بينما اتخذ الاسلوب النظمي المقارن اداة لتحليل تقاطع السلوكيات عبر مدخلات ومخرجات الحدث السياسي ضمن منظومة العلاقات الدولية المعاصرة .

وجاءت الهيكلية تعبيرا تحليليا وفق المنهج المتبع لإثبات الفرضية ، عبر توزيعها الى ثلاث محاور رئيسة تضمن الأول مدركات الفهم الخاطئ في سلوك الآخر ، وتناول الثاني:السلوك الإمبريالي والفهم الخاطئ لسلوك الآخر ، في حين انصب الثالث على اللبس ما بين الإيديولوجية المصلحية والمصلحة الإيديولوجية في فهم الآخر ...

أولا: مدركات الفهم الخاطئ في سلوك الآخر؟

من خلال تجارب الأحداث على مر التاريخ فقد برزت العديد من التقاطعات والاختلافات في فهم سلوك الاخر وكانت نتائجها السلبية على أطراف ذلك السلوك المتقاطع ولعل من ابرز ما يظهر لنا هذا الفهم الخاطئ لسلوك الاخر هي حرب الأفيون* ، إذ من

الصعب جدا تقدير بعض المواقف في فهم سلوك الآخر بل من المدهش أن يسئ سلوك حضارتين مختلفتي المعالم لتوجهاتهما ، فإحداهما في الشرق كالصين والأخرى في الغرب كبريطانيا العظمى في أواخر القرن الثامن عشر وتحديدا في العام ١٧٩٣ عندما كلفت سفارة بريطانيا في عهد اللورد مكارنتي (Macartney) لدى الصين لإقامة علاقات بين الإمبراطوريتين البريطانية والصينية تحت حكم كينغ ،أن تسئ الفهم بخصوص فتح آفاق التجارة بينهما وتحديدا في مجال زراعة الأفيون في الأراضي الصينية وقد تجاهل الإمبراطور والبلاط الصيني مطالب اللورد مكارنتي التجارية كليا ، إذ فسر الصينيون هذه الزيارة بمثابة زيارة من ارض نائية لتضع نفسها تحت حكم عطوف يمكن ان يوافق على هذا المطلب رغم الرسالة التي حملها اللورد من الامبراطور البريطاني الى نظيره الصيني ونصها " لقد اوفدنا ملكنا بأقصى قدر من التواضع لتبليغ إجلاله للإمبراطور العظيم " وفي المقابل كان البلاط متعجبا من هذا الطلب وعّدوه طلبا وقحا في المتاجرة مع الإمبراطور ، إذ كان ردهم " بالنظر لكونكم تجهلون الأعراف الإمبراطورية ، فقد تقدمتم بطلبات تعوزها الكياسة ... وأبلغوا ملككم بان الإمبراطور لا يوافق على تحميله مسؤولية ما ارتكبه من اخطاء فيما يخص المؤسسات السماوية التي يجهلها " [١] .

إن السفير مكارنتي كان على مستوى عالي من الدبلوماسية عندما لم يفسر رد الصينيين على انه رفض مباشر ، بل حتى رفض ان ينقل نص الكلام وابلغ انه استقبل كسفير لدولة ذات سيادة وان الإمبراطور اصغى لطلباته ، ولكن لم يستجيب لها .

وقد فسر آلان بيريفت (Alain peyrefitt) في كتابه (صدام حضارتين) ما جرى في حوار السفير البريطاني وبلاط الإمبراطور ، على انه سؤ فهم استمر بشكل متبادل ومتعمد احيانا ليزداد العداء ويتحول الحوار الدبلوماسي الى حوار المدافع في حادثة عرفت فيما بعد بحروب الأفيون [٢].

ويرى آلان بيرفيت ان الفهم المسيء كانت نتيجة للتقاليد الصينية التي لم تكن على طريقة التقليد الدبلوماسي الغربي وحتى وأن بادرت الصين في تحقيق مصالحها وطلبت الى بريطانيا كان من الصعوبة ايضا فهمها على الطريقة الغربية ، مما سيؤدي الحال نفسه الى اساءة فهمها ويعقّد الحوار بينهما ..

ولذلك من أصعب الأمور وأكثرها شيوعا في فهم الاخر انك تفترض انهم يماثلونك او يوافقونك الرأي والطلب .

وقبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى بقرن ونصف تقريبا يتكرر سوء الفهم ويبدو هذه المرة ان القيصر الألماني قد حركته بعض الافتراضات الخاطئة عندما علم باغتيال الأرشيدوق النمساوي فرانتز فرديناند في سراييفو وكان قد عُدَّ ولاء الإمبراطور النمساوي له عبارة عن شيك على بياض مفترضا ان ما حدث كان يريده النمساويون لإذلال بلاد الصرب التي كان يدعمهم القتلة المأجورين في قضاياهم ، وكانت القضية يمكن حلها بغضون اسبوع خاصة بعد تراجع الصرب عن موقفهم حيال مقتل الأرشيدوق لولا ان الثقة التي اولاها الإمبراطور النمساوي للقيصر الألماني الذي اعتمد افتراضه في نبذ الحرب ورغم رفض الإمبراطور لها (الافتراض الخاطئ الأول) الأمر الذي جعل القيصر لا يدرك قناعة البعض من العسكريين ممن يريد الحرب ولم يعد حينذاك الإمبراطور النمساوي يسيطر على الوضع ، إذ كان جُم اعتقادهم ان الحرب على الصرب لا يمكن ان تتحول الى حرب اوربية شاملة ، إلا اذا تدخلت روسيا لنجدة الصرب [٣].

فكان افتراضه الثاني الخاطئ ايضا هو تسليم القيصر الألماني بموقف اخيه القيصر الروسي بأنه يشاطره الرأي في فعله على عملية اغتيال الأرشيدوق وأن القيصر الروسي سوف لم يدعم القتلى المأجورين ويوافق على وجوب معاقبة الصرب، إذ لم يكن يدرك القيصر الألماني الضغوط التي كان يتعرض لها القيصر الروسي من جانب الرأي العام، وان هناك مظاهرات عارمة خارج السفارة النمساوية في مدينة سان بترسبورغ ولم يكن بوسع الحكومة الروسية تجاهل هذه الاحتجاجات في ظروف جماهيرية ثورية لا تحتمل التساهل في هكذا مواقف [٤].

وكان الافتراض الخاطئ الاخر للقيصر الألماني عدم إدراكه لسلوك بريطانيا وهي تحاول تدبير مؤامرة لتدمير المانيا المنافس المحتمل .

فدافع المصلحة لدى بريطانيا كان يُعد منطقيا في دخولها حرب اشبه ما تكون وقائية ضد منافس محتمل كألمانيا القيصرية في وقت لم يكن القيصر الألماني لديه ذات القوة التي تتمتع بها بريطانيا ولم يكن مسيطرا على الوضع الذي قد بدت فيه التعبئة من كل جانب وان الخطة العسكرية الألمانية وبحسب ما اخبر عنها رئيس اركان القيصر الألماني " فون مولتكه" غير قابلة

للتغيير عندما بدت النية مهاجمة فرنسا ، الأمر الذي سيؤدي حتما الى انتهاك الحياد البلجيكي وتضمن عندها بريطانيا دخول جيشها الحرب الأوربية الشاملة .. [٥]

وهكذا تأسست عصبة الأمم في تلك الفترة ، على اسس ضعيفة تختفي وراء بنودها اتجاهات ايديولوجية ومصلحيه نابعة عن الفهم الخاطئ ، إذ أن كل دولة من الدول المنضوية تحت العصبة تجد في ذاتها الأقدر والأكثر فهما وفاعلية في مواجهة الآخر ، ويبنى تصورها على تلك الجوانب المصلحية فكل منها يرى أنه الأجدر في قيادة العالم والكل عليهم احترامها والتنازل لها كي تمثلهم افضل تمثيل ، فكان انعدام الثقة عنوانا لهذا الفهم الخاطئ واستمر الخلاف والتقاطع بين امم اوربا يتراوح ما بين خلافات فكرية وأخرى مصلحيه مبنية على المنافع المادية والاستحواذ على اكبر قدر ممكن من الثروات المعدنية والطبيعية .

والنتيجة كانت حتمية في تعثر العصبة وسلوك الطريق الاخر من انهيار العلاقات الدولية اثر تمسك كل امة من الأمم بسلوكها الذاتي وفهمها المتقوقع لما يدور في فكرها وخوالج مصالحها المادية دون ان تعي يوما فهم سلوك الاخر كي تبنى معا حالة من التواضع والتنازل ضمن مدركات بناء المصالح المشتركة ، وهو ما انهى دور العصبة كتنظيم دولي اكثر تطور من التنظيمات السابقة ، فكانت الحرب الثانية من الحروب الشاملة في منطقة البلقان وبدا الضعف يدب أرجاء اوربا اثر الدمار الذي حل بها ولتبدو القارة العجوز اكثر وهناً من ذي قبل .

ثانيا: السلوك الإمبريالي والفهم الخاطئ لسلوك الآخر

فلما كانت الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى غير متأثرة وبدت بأفضل ما يكون وعلى نحو مطلق ، كانت في الحرب الثانية منتصرة في ظل وهن اوربي يستظل بها طالبا العون ليبني مارشال عليها مشروعه العالمي ضمن المعسكر الغربي وتحتضن الولايات المتحدة نحو ما لا يقل عن ثلاثة ارباع راس المال العالمي وثلثي الطاقة الصناعية ، فضلا عن الخبراء والعلماء بمختلف التخصصات أبرزها علماء الذرة.

لقد كان المشروع الأمريكي من تحقيق القرن الأمريكي على حساب دمار وتخريب اوربا واليابان مقترناً بالحرب الباردة والحرب الكورية وفيتنام وصولا الى حرب الخليج وفيض من التدخلات الأخرى [٦]. كما أن طبيعة التلون السياسي في السلوك الأمريكي حيال القطب

السوفيتي أبان الحرب الباردة ، قد تشكلت بناءا على المصالح الأمريكية العليا ، والتي جعلت من الدول الغربية التي تقودها ذا علاقة تذبذب وتلون ايضا ، فما بين عام ١٩٣١ وموقف الرئيس "هربرت هوفر" من ابادة السوفيت كان روزفلت قد اعترف عام ١٩٣٣ بضرورة التقارب معهم ليلعب ورقته ضد اليابان ، ورغم ذلك كان هناك من استمر على هذا الاتجاه من الجمهور الأمريكي وآخر من حمل العداء للفاشية تحُرِكُها النزعة العقائدية التي ترتبط بسياسة القوة كي تفرض نفسها على العالم، حتى جاءت مبادئ "الرئيس ترومان" **التكتيكية (من حيث عدم اتخاذ مواقف صريحة وواضحة للإفصاح عن الأهداف الأمريكية)**، إلا أنها وفجأة اعلنت العداء المباشر للروس من خلال نص خطابه بعد توليه منصبه بالقول " أن الروس سَيردّون الى مكانهم عما قريب وأن الولايات المتحدة ستتولى القيادة بهذه المناسبة كي تحكم العالم كما ينبغي له أن يُحكم " [٧] .

لقد تحول العداء الألماني الى علاقة ودية بعد الحرب العالمية الثانية ، كما تجاهلت الولايات المتحدة القروض بعشرات المليارات بالنسبة لليونان وايطاليا آبان تشكل حكوماتهم وباتت سياسة المجاملة اساس مصلحتها في تقويض اوربا .

وهكذا ... انقسم العالم ما بين سلوكين مختلفين ايديولوجيا وقد اعلن صراحة مع اول اجتماع للرئيس ترومان امام مجلس وزرائه قائلا " إذا كان الروس لا يريدون الانضمام الينا فليذهبوا الى الجحيم " [٨].

فقد واصلت سياسة الرئيس هاري ترومان موقفها المتصلب حيال الإتحاد السوفياتي بعد ان شملت ايديولوجيته حكومات لمناطق شاسعة في البلقان ، إذ حشدت اوربا الغربية وقامت بتعبئتها ضد المعسكر السوفيتي وادعائها بتهمة السعي نحو حرب عالمية ثالثة ، وقد فرط هذا السلوك السياسي بثقة الجماهير الأمريكية التي لا ترى اية نوايا حرب ثالثة لاسيما وان السوفياتي كان حتى وقت قريب حليف لها في حربه ضد الألمان ولم تكسب الحرب إلا بمعونة الروس ..

لم يغير الشعب الأمريكي من سلوك قادته حتى في وضع بنود ميثاق الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو ، وتحديدا في دار الأوبرا عندما ادخلت المادتين ٥١ ، ٥٢ والصادرة في ٢٦ / حزيران / يونيو من عام ١٩٤٦ اضافة الى ١٠٩ مادة جميعها كانت تهدف الى عزل الإتحاد

السوفيتي والى تضخيم حالة الإنقسام في العالم الى شطرين ، وان كلتا المادتين كانتا قد وضعتا حجر الأساس القانوني للأمم غير المتحدة [٩].

ولما جاء ستالين الى دفة الحكم خلفا لـ (لينين) في ٣١ / آذار –مارس من عام ١٩٤٦ كان في خطابه شيء من التلميح حول سؤ نوايا الغرب الأمريكي حيالهم ، إذ يرى ان هناك فرق ضئيل بين من يدعي الحق في الهيمنة على العالم سواء للعرق (الآري) ام للشعوب (الناطقة بالإنكليزية) .

وقد عُد ذلك استفزازا من سلوك يخبأ ما يكفي من العداء ما جعلها اي الولايات المتحدة لا تخشى حربا مع الإتحاد السوفيتي أو الشيوعية الدولية ، إنما خشيتها من نجاح الاقتصاد السوفيتي المخطط في هذه المرحلة من التعبئة الإنتاجية الذاتية وهو ما اعترف به الرئيس هاري ترومان علنا في يوم السادس من آذار –مارس من عام ١٩٤٧ في ولاية تكساس حين قال " اذا لم تتصرف امريكا ، فمن الممكن لهذا الاقتصاد المخطط ان يغدو نموذجا يحتذى به في القرن التالي ، وعندئذ ستضطر الولايات المتحدة الى ممارسة النظام ذاته، وعندئذ يتوارى نظام المشروعات الحرة وتتوارى معه حريتنا" وقد اختتم ترومان حديثه بالقول" لذلك ينبغي على العالم كله ان يأخذ بالنظام الامريكي... لأنه لا يمكن أم يبقى حيا إلا عندما يغدو هو نظام العالم كله" [١٠] .

وهكذا الحديث عن الولايات المتحدة حين تكون المصلحة العليا ضمن اولويات ردود افعالها العدائية في الانقضاض على الآخر وهي ليس بالضرورة ان تحتاج الى فهم سلوك الآخر من عدمه سوى أنها تقيم موازين السياسة الإمبريالية وهو ما يحتم عليها بناء منظومة من العلاقات الاقتصادية الدولية مزدوجة المعايير لهيكلة الرأسمالية العالمية وضمان هيمنتها على الشؤون الاقتصادية للعالم وفي مواجهة القوى المنافسة لها وتحديدا اوربا واليابان .

وعندما جاء الرئيس الأمريكي "ريتشارد نيكسون" جرد امريكا من سلطة النظام المالي الدولي عام ١٩٧١ بفك ارتباط الدولار بالذهب في الوقت الذي اكد على ضرورة رفع اسعار النفط عام ١٩٧٣، وهو بذلك استخدم معيارا مزدوجا ما بين التملص من مسؤولية ادارته للنظام المالي لضعف القدرة الاقتصادية الأمريكية في تحقيق ذلك ومن خلال انعدام الثقة في عملة الدولار وبين ارتفاع سعر النفط لأهميته في امتصاص الكم الهائل من الدولارات الراكدة

في مختلف البنوك المركزية الأوربية واليابانية ومؤسسات الصيرفة الخاصة وأسواق الدولار الأوربي التي ساهمت فيما بعد في عمليات التمويل الدولي الى جانب صندوق النقد الدولي (IMF) وشروطه الميسرة .

إن راس المال التمويلي عبر مؤسسات الإقراض المدعومة دوما من سلطة النظام المالي المتحكم والعملة القيادية ، تتضمن حالة المزج بين القسر والتوافق وفق عمليات المساومة والتي قد تختلف لاختلاف السلوك في القبول أو الرفض من خلال اليات المال يمكن ان تنشأ الهيمنة بالشكل الذي يحقق للمهيمن مراده في التحكم بالدول التابعة له على طريق تحقيق التراكم الرأسمالي وفق منطق نزع الحيازة وإعادة الإنتاج الواسع ..وان الصورة المبسطة لهذا التراكم من خلال بخس الثمن والأشياء الاخرى ، على انه لا قيمة له ويمكن اعادة تأهيله بإضافة الشيء القليل ليصبح ذا قيمة عليا وأثمان خيالية ..

لقد عانت الدول النامية من هذا الحس الإمبريالي الذي سلبها حيازة الثروة بلا قيمة او مقابل كي ينقلها الى حالة افضل ... ولن تُفاجئ هذه الدول انها تدور بحلقة مفرغة من التطور والنمو وتتزايد الفجوة بينها وبين العالم المتقدم وتظل الدول الفقير تعيش على فتات الصدقات والمساعدات القسرية .. وهو ما ينبأ عن سؤ فهم الآخر عما يجري والى أي مدى زمني غير منظور قد يتسبب في تعطل راس المال المالي وتوقف المشاريع الصناعية والتقنية العملاقة كونها لن تجد ما يصّرفها عندئذ تكون المشكلة ليست عالم نامي او فقير بل متقدم لا يجد الطريق سالكة في استمرار النمو الاقتصادي التي اقامها على عبودية راس المال [١١] .

ومثلما أدرك الرئيس الأمريكي الأسبق " رونالد ريغان " في عقد الثمانينات من القرن الماضي كيف ان التفريط في الإنفاق على مبادرة الدفاع الاستراتيجي قد جَّر الإتحاد السوفيتي الى الهلاك وراء وهم الحرب الفضائية واضعف من اقتصاده تحت ظروف تدهور الداخل البروليتاري من جراء انخفاض متوسطات دخول الأفراد ، وغضب جماهيري لن يستكين حيال مغامرة غورباتشوف في بيروستريكا خانقة لم تتعود عليها تجربة السبعون عاما من تقشف اقتصادي وصبر شيوعي مرهق بوهم الوصول نحو الشيوعية الكاملة ، كان هنالك خطئا كبيرا لم تدركه واشنطن في الألفية الثالثة على ان بلوغها القطبية الأُحادية التي سعت اليها الإستراتيجية الأمريكية في الهيمنة والانفراد بالعالم كانت ناقصة ولن تكتمل إلا بظهور عدو

مقابل كي تبني عليه حجتها ومبرراتها في توظيف المجتمع الدولي الى جانبها ضد من تعدهم خطوط حمراء ومحاور شر امام مشروعها الإمبريالي .

ومن ذاكرة التسعينات من القرن الماضي وأحداث حرب الخليج الثانية التي اظهرت لنا ضعفا في التفكير الإستراتيجي لعموم الدول العربية حينها لم تدرك خفايا الأحداث ان ما جرى كان فخا مبرمجا يحتاج الى منفذين مهرة من ابرز سياسي المنطقة فوجدت تلك الأحداث من تطوع لها ليرمي بثقلها الى مستقبل مجهول لا يدرك مداه اقرب المقربين من القوة الفاعلة في الحدث .

أنه خطأ استراتيجي يقترفه النظام السياسي في العراق الخارج توا من ثمان سنوات حرب بينما لا يزال شعبه ينزف من عبء ما اصابه من دمارها ويبحث عما يطمئنه في القليل من الاستقرار والراحة والأمان ، ليجد نفسه أمام ازمة سياسية يخيم عليها شبح الحرب من جديد، كان النظام السياسي في العراق مستعدا لخوضها وهو لا يزال في نشوة القوة والجبروت أمام تمادي أوتوقراطيات كانت تبحث عن المجد السياسي في ملفها الخليجي وهي على استعداد في ازاحة من يُعكر صفوها وتحقيق ما تصبو اليه بمساندة ومخطط الحليف الغربي – الأمريكي الليبرالي .

لقد باتت هذه الأزمة غير قابلة للدحض أو التفنيد لمنطق الكلام والذي مفاده ، أن كل نظام سياسي عربي يرى في المصالح التي ترتبط بدولته ، يمكن أن تُعد فوق كل اعتبار لمصالح الأخرى ، بما فيها المصالح القطرية التي تنعكس سلبا على المصلحة القومية ، ذلك أن حالة من التراخي العام ، قد أصاب الفكر السياسي العربي بأي اتجاه يمكن أن يكون من حلول لأزمة سياسية عربية طارئة نجمت عن تأثير سلوك النزعة القطرية التي باتت العديد من نظم سياسية عربية تتقوقع بها ، الأمر الذي يُعد وضعا طبيعيا بالنسبة للظروف القائمة حينذاك ، فالمحصلة هو تعميق أزمة الثقة السياسية العربية ، من خلال توليد حالة الإنفصال الدائم عن الرؤى العربية الموحدة ونحو خلق أجواء العزلة وبحسب توافق الاتجاهات والأبعاد التي من شأنها تعميق الأزمة بدلا من احتوائها في إطار النظام الإقليمي العربي .. هذا من جانب ..

ومن جانب آخر ، فإن مسوغات هذا الموقف كانت تتخفى وراء حجاب من التواطىء السياسي العربي وحالة من التمزيق الذي بلغته الأمة من جراء تواصل حالة تعميق الخلاف بين العراق والكويت ، إذ أن البعض من العناصر اللاعبة في الأزمة ، كانت تدرك تماما حالة

الاحتلال ومخرجاته السلبية ، وعلى أنها باكورة أزمة ستجتاح العمق العربي ، وتعمل عندها على تقسيم النظام الإقليمي إلى واجهتين ، تنصب الأولى باتجاه قوى دعم الأزمة السياسية ودفع كل المبررات غير الظاهرة في الأزمة باتجاه تدويلها ، وإبقاء حالة وضع الحلول ضمن المسارات التعجيزية ، في حين أن الواجهة الأخرى كانت تحاول احتواء الأزمة أو أقل ما يمكن كسب الوقت كي لا تتأزم لتبلغ ذروتها لتشكل فيما بعد طعنا حقيقا وعميقا في هيكل النظام الإقليمي السياسي العربي، بل وتهدد مصير استمراره بعد أن تتجه نحو تمزيق وحدة الصف.

إن بوادر احتواء الأزمة كانت متوافرة ، فيما لو تم حصرها عربيا ، إلا أن العناصر الداخلة في الحدث السياسي لم تكن على فهم تام أو موافقة لهذا الاتجاه ، بل أخذت تعمل وبقوة على تدويلها ضمن اعتبارات مصلحيه، حين سعت نحو التدخل الدولي كحل أمثل، بل وبإصرار، على انه لا بد من أن يُعاقب الذي قام بفعل الاحتلال جراء ما اقترفه ووفق لوائح القانون الدولي، وما يمكن أن يترتب عليه فيما بعد من نتائج وخيمة ومن دون الرجوع أو التحقيق في أسباب الأزمة وتفاصيلها ..

لقد كانت الحرب على العراق تمثل بداية فوضوية لمشروع امبريالي ضرب القوانين والأعراف الدولية عرض الحائط لما جيشته الولايات المتحدة من قوة تكنولوجية هائلة وهي في اوج عظمتها بعد ترنح الروس ، وقد ساهم معظم العرب على تحقيق المشروع الأمريكي وتوفير فرص التدمير الجذري لأقدم حضارة عرفها التاريخ البشري .

فالحرب الهمجية التي شنت على العراق قد عاد به الى ما قبل عصر التكنولوجيا والمعلوماتية باكثرمن ثلاثة عقود ، وهذا هو المطلوب كي تُعد العدة لمرحلة انتقالية ما بين (١٩٩١– ٢٠٠٣) تضمنت عقوبات اقتصادية وأمنية شاملة تحت البند السابع لشعب ذاق الأمرين وهما ضغط دكتاتورية السلطة وحالة الفقر المعيشي القسري في ظروف ابعد ما توصف انها هالكة بكل معنى ، حيث التدهور الصحي والتلوث البيئي جراء مخلفات الحرب الإشعاعية ونقص الخدمات العامة لبلد يمكن وصفه بأنه معزولا اقليميا ودوليا .

وهكذا علمتنا احداث الحادي عشر من سبتمبر /٢٠٠١ رغم حجم الخسائر المادية والمالية وفي أرواح المدنيين الأبرياء في واشنطن ونيويورك أنها لا تختلف عن تلك التي صاغتها مبررات الحدث السياسي في حرب الخليج الثانية وراح ضحيتها الآلاف من المدنيين الأبرياء وهذه المرة

الولايات المتحدة هي من استهدفت من قبل تنظيم القاعدة وان القادم اعظم ولم يمضي سوى ثلاثة عشر عاما على تلك الحرب ، إذ لا يزال النظام السياسي في العراق يشكل خطرا على محيطه الإقليمي هذا ما يدركه حلفاء امريكا الخليجيين وهو يشكل ارهابا ولا بد من معاقبته كونه لن يلتزم بمعاهدة حظر الأسلحة النووية كما انه من يقدم الدعم للإرهاب الدولي وهي مبررات كافية ، لأن تقيم عليه الحد.

ولن تمضي سنة ونصف على احتلال افغانستان وإسقاط حركة طالبان حتى تصاعدت موجات الإعلام السياسي الغربي الخليجي في المطالبة بإسقاط النظام السياسي في العراق ، وهنا تكتمل الحجة مع اكتمال المبررات كي تدخل مرحلة الحرب واحتلال العراق ... وهكذا تحقق المراد الأمريكي في احتلال بلد اصعب ما يكون فهم سلوك شعبه وسقطت المراهنات والخطابات على ان مجتمعا كالعراق يستقبل محتلا مهما كان مبرر التغيير ، ولم يدم الحال طويلا حتى تغير كل شيء ، وقد باتت المشكلة التي تواجه الولايات المتحدة في العراق تتمحور حول الفهم الخاطئ لهذا المجتمع الذي عانى عقود من الحروب والحصار فكان الاحتلال بالنسبة له اشبه بماض قريب لم يتغير سوى في تصاعد نسبة موجات القتل العشوائي ضد مجهول والتهجير والإعتقال وهذه المرة من اجنبي وليس من اهل الدار .

وبعد الانسحاب الأمريكي اصبح الجميع يُقلد السلوك الأمريكي في فهمه الخاطئ لهذا المجتمع المغلوب على امره سواء في نمط السياسة او الملف الأمني ، ومثلها في استباحة ثرواته وتراثه سرا وعلانية ، وقد استمرت حلقة التدمير التي لا تعرف دربا للزوال ...

ولقد باتت الإيديولوجية المصلحية في مفترق الطرق ، إذ لم يعد لها حاجة امام التواجد الأمريكي في الخليج وحتى الحلفاء المقربون بالأمس لم يكونوا اليوم بذلك الود والتقارب الذي كانت عليه مع الولايات المتحدة ، فالقاهرة في عهد ريغان لم تكن تلك التي في عصر اوباما، كما ان الرياض اليوم ليست كالبارحة ، بل على العكس اصبحت تُنعت بقصورها للديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات ومأوى للإرهاب .

وأصبح الفهم الخاطئ لسلوك الآخر امام النزعة الإمبريالية امرا حتميا تقتضيه المصلحة العليا لاسيما وان القوة الفاعلة هي من تملي شرط التناغم المصلحي لحلفائها وتفرض ارادتها في ترويج فكرها الليبرالي كي يقبلها الاخر .

ثالثا :اللبس ما بين الإيديولوجية المصلحية والمصالح الإيديولوجية في فهم الاخر

حين نستفهم حالة التمصلح أو المصلحية بين دول العالم فإننا نستشف هذا الفهم انه ينحصر في بوتقة تبادل المنفعة وهو امر مشروع والكل يبحث عنه ويتقبله من الاخر على ان هذا التمصلح لا بد ان تكون متكافئ لتحقيق الغاية المشتركة ، وما عدا ذلك يمكن أن نفهمه على أنه علاقة تابع ومتبوع وهنا يمكن ان يكون للدولة الأكثر قوة وقدرة من فرض لإرادتها وسلوكها على الآخر من اجل الغاية المصلحية وهي بالتأكيد تعني التغلغل الفكري لكسب الاخر .

لقد كانت الجوانب المادية سبيلا نحو غرز الأفكار وهذا ما فعلته السياسة الأمريكية عبر اليمين المحافظ في فرض القيم الإيديولوجية التي ترى فيها التميز والمثالية والتفوق الأخلاقي على بقية الأمم .. فأقامت امريكا علاقاتها على هذا االأساس مع حلفائها الغرب والعرب وحتى الأسيويين وتحديدا اليابان .

فالفكر الليبرالي من منظور محافظوا امريكا انه فكرا مصلحيا يمكن ان يكسب ثقة الأمم الأخرى ، ويجعلها تقبل السلوك الأمريكي وإملاءات السطوة والجبروت في إدارة شؤونها والتحكم بحلفائها كي تستمد القوة لفرض إرادتها فيما بعد على اعدائها ..

فالحرب الباردة في رؤيتهم للعالم كانت تنافسا اخلاقيا غامضا اتسمت على الأغلب بالنفاق والروح العسكرية والتدخلات الخرقاء في شؤون الآخرين أكثر مما تتسم بالكفاح الأخلاقي اللازم لإلحاق الهزيمة بالشيوعيين ، وهو ما يؤكد أن القيم الليبرالية لم تكن بتلك المنافسة المتميزة لها في مواجهة الإشتراكية الشيوعية رغم انها الأقدر في بلوغ اهدافها المادية في مختلف مناطق العالم الغنية [١٢].

فالولايات المتحدة ترى في البعد الإيديولوجي ثمة مصالح من خلالها لا تستطيع التمييز بين عدو وحليف طالما هناك حالة اقناع وليس أكراه من ان التغلغل الفكري ممكن ان يحقق التوافق القومي والإثني والديني مع كل من يريد التخندق الى جانبها ، حين تتوافر خطابات السلام والديمقراطية والعدالة الإقتصادية ، وهذه التعويذة التي تعوّل عليها السياسة الأمريكية كي تفرض ايديولوجيتها وتحقق المصلحة العليا .

ويرى المحافظون الجدد في السياسة الأمريكية أن التوافق ما بين اليسار السياسي واليمين المسيحي قائم على القيم الأخلاقية التي يجب أن تكون قريبة من مركز السياسة الخارجية الأمريكية وهذا ما يعطي تميزا لرؤية الولايات المتحدة تجاه العالم عبر روحها السامية وعلاقتها الخاصة بالشعب الأمريكي وحين تعد ذاتها "مدينة على جبل " ، وأن العيوب التي قد تصدرعن امريكا هي عيوب في مجال السلوك الشخصي كالأباحية والجنسية المثلية ، والإبتعاد عن القيم التراثية والكنيسة وهذه سمات تقدم العون للعدو وقوى الشر في العالم [١٣].

ان التناظر الفكري لجيلين مختلفين في امريكا من اليمين المحافظ ومتميزين في إدارة السياسة الأمريكية ، كان منطلقا من الجيل الليبرالي الأول وقناعتهم لتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الممتد من الحرب العالمية الأولى حتى الحرب العالمية الثانية والتي شهدت خلالها تراجعا امريكيا على المستوى الدولي وصعودا نازيا قد افرز لديها جملة من الأفكار تضمنت [١٤]:

١- أن الشر ظاهره حقيقية وواقعية موجودة ولا يمكن تجاوز هذه الحقيقة ،ويرى المحافظون الجدد أن عزلة أمريكيا وانغلاقها على نفسها قد مثلت سبباً رئيسياً لانتشار هذه الشرور

٢- دور القوة العسكرية كأداة أساسية لمواجهة الشر، إذ يرى المحافظون الجدد ، أن القوة العسكرية وليس الدبلوماسية هي من أجبرت الزحف النازي على التوقف ، ولهذا يكمن المحافظون الجدد قدراً كبيراً من الرفض والتشاؤم فيما يتعلق بدور المنظمات الدولية والقانون الدولي، حيث يرون أن القوة العسكرية يجب أن تبقى أساساً رئيساً للسياسة الخارجية الأمريكية .

٣- البحث الدائم عن مشاريع كبرى في العالم كي تبني سياستها البرا غماتية وفق هذا المنطق لإزاحة القوى المنافسة .

٤- لا تراجع أمام العقبات التي تواجهها مهما كلفت النتائج والمهم ان تتزعم امريكا العالم .وكانت افكار هذا الجيل تنطلق من تعصب فكري ليبرالي أو شتراوسية * ليبرالية نسبة الى مؤسسها "ليو شتراوس " منذ العام ١٩٢٨ .

أما الجيل الثاني فقد تميزت ايديولوجيته بالنزعة الليبرالية الجماهيرية المؤيدة لإسرائيل منذ مطلع الستينات من القرن الماضي ومن ابرز مفكريها وقادتها من المحافظين الجدد

اليهودي"بارفن كريستول " وقد برزت افكارهم لتتبنى جهودها الواقعية في السياسة الخارجية الأمريكية مع وصول الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان الى السلطة ، إذ برزوا في تسنم المناصب على نطاق الأمن القومي الأمريكي وجهاز CIA من اجل مواجهة الإتحاد السوفيتي واسقاط النظام الشيوعي [١٥].

فما برحت ان فرضت السياسة الأمريكية المعاصرة في عهد الرئيس جورج ووكر بوش فكر اليمين المحافظ في التعامل مع العالم الخارجي وبإستخدام مشروعيتها النابعة عن ايديولوجية ليبرالية مقيته تميزت بقساوة شديدة على من تعدهم اعداء ولم يسلم منها حتى الحلفاء أحيانا غاية في تامين المصلحة الإيديولوجية التي تتمحور حول حماية أمن اسرائيل أولا ومن ثم تامين المصالح الأخرى لتامين القدرة وتحديدا الموارد الطبيعية والمعدنية ذات الثقل الجيوبولوتيكي لاسيما الموارد النفطية . ويُعد غزو العراق وتدمير حضارته ، أحد النتائج البارزة التي انتهجتها سياسة اليمين المحافظ ...

إن المصلحة الإيديولوجية التي تمالكت فكر المحافظين الجدد غيّرت من واقع التفكير الأستراتيجي الأمريكي في مواجهة الأحداث على ان تلك المصلحة ترتبط جذريا بطبيعة الحدث وصدى تاثيره في العالم ، وهنا يرتكز جم التفكير على قوة الحدث ومبرراته وليس من شك أن صناعة الحدث ممكنة بحجم وامكانيات القطبية الإحادية ، طالما هناك تبرير مقنع كي يصل الى الراي العام الأمريكي أولا ثم استمالة المجتمع الدولي كي يقبل بتلك المبررات ويقيّم ردود الفعل عليها .

فعلى وقع أحداث سبتمبر ٢٠٠١ كانت الطريق سالكة أمام اليمن المحافظ نحو ادلجة سلوك السياسة الخارجية الأمريكية تحت ظروف غامضة ، وكانت تمثل فرصة منتظرة ولا يمكن ان تعوّض في مرحلة حاسمة من تاريخ العلاقات الدولية ومن اجل تغيير العالم وسلوكه كما ينبغي ووفق رؤية المتنفذين في البيت الأبيض الأمريكي .

وبحسب ما ذكره رئيس مركز مكافحة الإرهاب أنه تحدث الى " ديل واطسون" رئيس مكافحة الارهاب في الـ FBI ان هناك نوع من الشيفرة الغامضة طوال يوم ١١ سبتمبر وكان ذلك ينطبق على الجميع دون ادراك ما يحدث رغم ان الكلام عن حدوث شيء من الأرهاب مفهوما وكنّا نعد العدة لمواجهته ولقد كنّا نشهد ذلك منذ مدة طويلة ونعد له بطرق مختلفة ،

ولكن توقع الهجوم شئ وحدوثه بهذه البشاعة حين نشهد انهيار مركز التجارة العالمية ومهاجمة مبنى البنتاغون من قبل طائرة الركاب الأمريكية (اميركان ايرلاينز ٧٧) شئ آخر ، وكانت فوضى الأخبار تتناقل هنا وهناك عبر تقارير حول مزيد من الطائرات السائبة لتنفيذ الضربات، ثم اخبار عن انفجار قنبلة في الجناح الغربي للبيت الأبيض ، واندلاع النيران في الكابيتول ووزارة الخارجية ، وتغيب الحقيقة ولم تكن لدينا اية فكرة عما هو صحيح وماهو غير ذلك [١٦].

ويتكرر ذات السلوك الخاطئ في توظيف الحدث وتبريره ، فبعد ان اسفرت نتائج احداث سبتمبر في الحرب على الإرهاب عن تدمير واحتلال افغانستان والعراق ، كانت هذه المرة من داخل العراق وفوضى الحرب الطائفية بين مكونات المجتمع الواحد كان نتيجة حتمية ليس لأن العراقيين متفرقون ، بل أثر عجز أمريكي عن تحقيق الأمن وفشل ذريع في كسب ثقة الجماهير العراقية وتاييدها للإحتلال المارق .

لقد كانت الفوضى في الأعوام٢٠٠٥ و٢٠٠٦ و٢٠٠٧ بمثابة تمرّد في السياسة الأمريكية على الواقع بعد الرفض الشعبي وتمسك العراقيون بإستقلالهم من خلال مقاومتهم له ، رغم كل الظروف القاهرة التي اشمئزت لها المشاعر الإنسانية من قتل وتهجير واستباحة للعرض والأرض والمال والكرامة .

انها الفوضى الخلاقة كما اسموها المحافظون الجدد على انها فوضى للعراقيين وبناءة لهم في انجاز مشروعهم التاريخي في اشاعة الفتنة وتدمير الأوصال الوطنية والقومية والمذهبية في مختلف مدن العراق وبغداد ، اثر حدث تاريخي لا يختلف من حيث التبرير عن ذاك الذي وقع في واشنطن ونيويورك سوى بإختلاف طريقة التنفيذ لذات الأدوات فضلا عن قدسية المكان عند العراقيين جميعا وليس ابناء الشيعة كما زعم الأمريكان ومن خالفهم الرأي في تفسيرهم لهذا الوقع المفزع .

ويرى المؤلف بيترو غالبريث في كتابه "نهاية العراق" في مشهد الدمار الذي وقع في مرقد الأمامين العسكريين الذي يعود بناؤه للقرن التاسع الميلادي على انه سبب لخلاف تاريخي ما بين الشيعة والسنة ، فغالبية الشيعة في العراق تعتبر اولئك الذين دمروا المرقد هم من ورثة جلادي الخليفة الأموي ولديهم ما يبرر تلك القناعة ، كما يرى ان المرقد تم تدميره من قبل تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين وهي نفسها التي دمرت مركز التجارة العالمية في نيويورك [١٧].

وهذا الراي من كاتب يُعد نصيرا للمحافظين الجدد ويكفي ان يعطي تفسيرا بخصوص اللبس السياسي في التعامل مع واقع الأحداث وتبريرها كي تقيم الإدارة المتنفذة في السياسة الأمريكية الحد لبلوغ النتائج التي تعتبرها خلّاقة ومثمرة وتنصب محصلتها في المصالح الإيديولوجية ، ولطالما ان هذه المصالح تعقد عليها الامال الإسرائيلية – الأمريكية حيال منطقة الشرق الأوسط .

وماذا يمكن أن يُفسر تبرير قرار حرب كان الرئيس جورج بوش قد اعلن فيه أن الولايات المتحدة لن تسمح لأخطر الأنظمة في العالم تهديدا لنا عبر استخدامها الأسلحة الأكثر دمارا في العالم ، وإذا بالعراق لا يمتلك تلك الاسلحة ، وفي ذات الوقت الذي انشغلت فيه الولايات المتحدة في العراق كانت كل من كوريا الشمالية وإيران حرة في تواصلان برنامجهما النووي ، ثم يخطب بوش بعلو صوته على ان الولايات المتحدة لن تحتمل امتلاك كوريا الشمالية لأسلحة نووية ، إلا أنه لم يفعل اي شئ [١٨] .

فمن المؤكد أن الخطا في السلوك السياسي الخارجي الأمريكي وإزدواجية المعايير لتقدير الخطر الذي يواجهها في المستقبل كنتيجة للخلط ما بين الفكر المصلحي من أجل عزل الحلفاء عن الأعداء ، وبين مبررات وهمية في تحقيق المصالح الإيديولوجية من خلال استخدام قوة غير مبررة في مكافحة الإرهاب أواعلان حروب مدمرة على اعدائها الإيديولوجيين ، فضلا عن دعمها ومساندتها للمتغيرات ذات النسق الثوري المعاصر في العديد من الدول العربية تحت نوع من التذبذب في المواقف السياسية كانت قد اوقعتها في مازق من التعامل مع الملفات السياسية والأمنية الخارجية في مناطق الأحداث ، ولم تكن النتائج المتحققة على ارض الواقع كما تريدها واشنطن ، على الأقل ان فشلها في دعم الاخوان في مصر ماديا واعلاميا جعلها أكثر حذرا وترقبا لما هو قادم لاسيما وان الجماهير المصرية بات لها القول الفصل رغم التقاطعات بين تياراتها في إدارة دفة الحكم .

وهذا مؤشرا آخر في اللبس الإيديولوجي وقصور الفهم في التمييز ما بين الطبيعة المصلحية للنمط الليبرالي الغربي – الأمريكي لكسب سلوك الآخر (وهذه شرعية العلاقات القائمة بين دول العالم الرأسمالية) وبين المصلحة الليبرالية كغاية عظمى تسعى السياسة الخارجية الأمريكية

المعاصرة الإنفراد بها وفرضها داخل منظومة العلاقات الإقتصادية الدولية بهدف المحافظة على موقعها العالمي المتقدم لسلم الهرم السياسي والإقتصادي والأمني .

الخاتمة

نستخلص من بين ثنايا وخفايا السلوك الإقليمي والدولي للعلاقات الإقتصادية أن هناك شروع ليبرالي في عقد المصالح المشتركة بين الدول بما يحقق المكاسب لكل الأطراف ، وهو أمر مقبول ضمن منظومة تلك العلاقات وعلى اسس من الفهم المسبق للإتفاقات والبروتوكولات المتبادلة . فعلى النطاق الإقليمي مثلا كان هناك فهما خاطئا في التعامل مع الأزمة بين العراق والكويت ، إذ أن معظم الأطراف الإقليمية العربية لم يحسنوا التفاهم للتعامل مع الأزمة إما لغاية مصلحية ذات نزعة قطرية ضيقة أو بتاثير المصالح الإيديولوجية التي تصب في مسار القوة الفاعلة في إدارة تلك الأزمة ، فضلا عن أن الأطراف الإقليمية لم يدركوا أن تعميق هذه الأزمة ستشكل شرخا في العمق الإستراتيجي للنظام الإقليمي العربي ، حتى بات ظلالها يعصف بالواقع كمرحلة انتقالية لإحداث لاحقة مدمرة .

وأما على النطاق الدولي فيظهر الفهم الخاطئ في العلاقات عندما تبرز المصلحة الإيديولوجية للقوى الفاعلة (الولايات المتحدة) كي تفرض ذاتها بالزعامة وقيادة هكذا نمط من العلاقات بالضغط على الأطراف بما يسيء هذا الفهم لتبرير المواقف والأحداث في مواجهة السلوك المضاد أو عزل الحلفاء عن الأعداء عبر اساليب افتعال الأزمات أو التهديد غيرالمباشر بتوجيه ضربة استباقية أو حتى اعلان حالة الحرب ، وهو ما يظهر الوجه الإمبريالي المعاصر بشكل قبيح وبادوات اللبرلة السلطوية لهذه القوة الفاعلة والمهيمنة على مسارات تلك العلاقات .

وقد ينعكس هكذا سلوك سلبا على مستقبل الأداء السياسي الخارجي ، مما يجعلها تترقب الأوضاع بحذر شديد خشية المجهول الذي بات يهدد حساباتها الإيديولوجية بعد أن بُنيت عليها استراتيجيتها منذ أن عُهد الى المحافظين الجدد إدارة شؤونها بطموح الحفاظ على موقعها في قمة الهرم الدولي ..

---

* استاذ العلاقات الاقتصادية الدولية المساعد / كلية العلوم السياسية – جامعة النهرين – بغداد –جمهورية العراق.

* وقعت بين بريطانيا العظمى وإمبراطورية الصين خلال القرن التاسع عشر ، إذ كانت بريطانيا تريد ان تفرض هيمنتها بالقوة على الصين ولو ادى ذلك الى الحرب ، في حين رفضت الصين الاستعلاء البريطاني ومطالبة التاج الملكي بفرض القرصنة على المياه الاقليمية وتجارة الأفيون التي كثيرا ما اضرت بالصين اقتصاديا واجتماعيا وأخلاقيا . وهي على حربين منفصلتين ، ألأولى حدثت في العام ١٨٤٢ ، وكانت النتيجة أن احتلت القوات البريطانية (شنغهاي) وارتكبت بريطانيا خلالها ابشع انواع الظلم والقسوة حتى ابرام معاهدة نانكنج التي ادت الى العديد من البنود كانت بمثابة تنازلات من قبل الصين لصالح النفوذ البريطاني في المحيط الهادي ، ابرزها ضم هونج كونج لبريطانيا كما ترتب على هذه المعاهد المذلة للصين وقتذاك ، فرض معاهدات اخرى مع الأمريكيين في العام ١٨٤٤ ومع الفرنسيين في نفس العام .واما حرب الأفيون الثانية فوقعت في العام ١٨٥٧ وكانت اكثر اذلالا للصين عندما تم السيطرة على جميع المنافذ البحرية بمشاركة فرنسية هذه المرة ، وعقد معاهدة في بكين الزمت الصين عن كل التعويضات الناجمة عن الحرب ، كما استغل الفرنسيون هذه الحرب التي استمرت اربع سنوات حتى عام ١٨٦٠ عندما انتهزت فرصة تعزيز اهدافها الاقتصادية من خلال المتاجرة مع الأهالي خارج قيود الدولة ، كما فرضت الحرب على الصين تجارة الأفيون وزراعتها بمساحات واسعة منها .للمزيد ارجع الى

Rober cooper, The Breaking of Nations, Published by Atlantic book, London, first edition, 2004, p 157-158.

[١] -للمزيد حول النص وتفسيره ارجع الى: **Robert cooper, The Breaking of Nations, op , p159.**

[٢] -أنظر : **Alain peyrefitt, the Collision of two civilizations, first edition, London, 1989, p65**

[3] **-I bid , p66**

[4] **-Roberet Cooper , The breaking of nations , o.p ,p-162**

[5] **-I bid , p 162.**

[٦] – انظر : كارلهاينتس دشنر ، المولوخ : اله الشر : تاريخ الولايات المتحدة ن ترجمة محمد جديد –مراجعة وإعداد زياد منى ن ط١ (دار قدوس للنشر والتوزيع ، دمشق ، ٢٠٠٣) ص ص ٣٩٣ – ٣٩٤ .

[٧] – المصدر نفسه ، ص ٣٩٥

[٨] – المصدر السابق ، ص ٣٩٦

[٩] –المصدر نفسه ، ص٣٩٧

[١٠] – المصدر السابق ، ص ٤٠٠

[١١] **– Robert Cooper , The breaking of nations , o.p , p 168**

[١٢] –– انظر: مادلين اولبرايت ، الجبروت والجبار "تاملات في في السلطة والدين والشؤون الدولية"، ترجمة عمر الأيوبي ، ط١ (دار العربية للعلوم –ناشرون، بيروت ، ٢٠٠٧) ص٩٠.

[١٣] – المصدر السابق ، ص ص ٣٤ – ٣٥ .

[١٤] – للمزيد أنظر :

Henry William Longton, The conservative Press in Twentieth – century America, Green wood press 1999 , p12-13 .

*** من منظري ودعاة بل ومؤسسي حزب اليمين المحافظ ، ويقول البروفسور ستانلي روزين وهو احد طلابه عام ١٩٤٩ ، غن شتراوس كان من المعجبين بالتلفزيون الأمريكي وبخاصة مسلسل دخان البنادق(Gun smoke) ، فما ان تنتهي محاضرته إلا وتابع هذا المسلسل الذي يعتبر تاثير في المجتمع الأمريكي جيدا ، لأنه يعرض صراعا بين الخير والشر ، وأن البطل يرتدي قبعة بيضاء ، وهو أسرع في وصوله الى مسدسه ليقضي على العدو وهو الشر .انظر : جهاد الخازن ن المحافظون الجدد والمسيحيون الصهيونيون ،ط١ (دار الساقي ن بيروت – لبنان ، ٢٠٠٥) ص ١٣ .**

[15]- Henry William Longton ,cp o .p , p13

[١٦]– للمزيد حول حديث احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ارجع الى :

جورج تينيت ، في قلب العاصفة "السنوات التي قضيتها في السي اي إيه" ، ترجمة عمر الأيوبي، ، ط١ (دار الكتاب العربي ن بيروت ن ٢٠٠٧) ص ص ١٨٢ – ١٩٤ .

[١٧] – انظر : بيترو غالبريث " نهاية العراق " ، ترجمة اياد أحمد ، ط١ ، (دار العربية للعلوم –ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٧) ص ص ٩– ١٢ .

[١٨] – بيترو غالبريث ، المصدر نفسه ، ص ١٩